**المحاضرة الأولي**

**أوضاع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي**

قبل كل شئ يطلب من الطالب الرجوع الي بعض المصادر و المراجع لهذه المحاضرة :

1. ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزء الأول
2. أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا ، الجزائر 1973.

3. صالح فركوس: بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير، أطروحة دكتوراه ،لم تنشر .

هذه المحاضرة تطرح عدة تساؤلات :

**أولا**- الأوضاع السياسية الداخلية بماذا تميزت ؟

* بداية الحكم التركي من عام 1518م الي غاية سنة 1830م بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر .

**عهد البايلربات(1518م-1587م):**

تميز بالخصائص التالية :

1. إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ،أصبح خير الدين يلقب بالبيلربايات .
2. هذه الفترة امتازت فيها الجزائر بالقوة و التفوق .
3. تحققت وحدة الجزائر الإقليمية و السياسية ،يعتبر صالح رايس(1552م-1556م) بطل تحقيق هذه الوحدة ،قضي علي الدولة الزيانية .

**ثانيا**- العلاقات السياسية الخارجية بماذا تميزت؟

1. امتلاك الجزائر لأسطول بحري قوي فرضت به ارادتها علي الدول الاوروبية و ارغامها علي دفع اتاوات مقابل ضمان الأمن و السلام لمراكبها في المتوسط.
2. ما يهب علي هذه العلاقات ،أن بدأ النفوذ الفرنسي يتسرب إلي الجزائر، كيف ذلك ؟

المثل التقليدي المعروف "عدو عدوي صديقي " كذلك الخلافة العثمانية و فرنسا ،كلاهما كانا عدوين لإسبانيا : من جهة عداء الأتراك و الجزائريين التقليدي للإسبان ، و من جهة ثانية ، عداء فرنسا لإسبانيا، نتيجة اعتداءات **شارلكان** الإسباني علي الشواطئ الفرنسية ، وتنافس الفرنسي التقليدي حول مشاكل القارة ووراثة العروش. إذن تعود العلاقات الطيبة بين فرنسا و الدولة العثمانية الي أيام السلطان سليمان القانوني و فرانسوا الأول.و تجسدت باتفاقية " **حصن الباستيون Bastion** " بالقالة لصيد المرجان .

**ثالثا**- الحالة الاقتصادية والاجتماعية بماذا تميزت ؟

1. امتازت البلاد وثرواتها الزراعية و الحيوانية .
2. انتعشت الخزينة (بيت المال ) بغنائم البحر .
3. الصناعة كانت تقليدية لصناعة النسيج .
4. تصدير الحبوب و البضائع الاخري مألوف و الجلود و الشمع الي الخارج .
5. تشجيع مشاريع العمران التشييد المساجد و المؤسسات التعليمية و التثقيفية و تسخير الأوقاف، و بناء الحصون و المستشفيات، و قلاع ضخمة لا تزال آثارها شاهدة علي أصحابها الي اليوم .و كان الهاجري الأندلس الدور الكبير في الازدهار العمراني و الاجتماعي .

**رابعا**- الجانب العسكري :

1. حملة **فردومونكاد** شهر أوت1519م ، منيت بهزيمة نكراء ، في الوقت الذي تمرد فيه أحمد بن القاضي .
2. ظل خير الدين يحارب الاسبان الي أن فتح الجزائر 1527م و قضي علي حصنهم ببرج الفنار.
3. حملة **اندرى دوريا** الإسبانية علي شرشال 1531م . دخلوا المدينة و عاثوا فيها فسادا.
4. حملة **شارلكان** علي الجزائر عام 1541م بعد استدعاء خير الدين الي القسطنطينية 1535م ، تولي نائبه محمد حسن آغا، كان مصير هذه الحملة الفشل الذريع.
5. فتح بجاية و تحريرها من الاسبان علي يد صالح رايس1555م .

و خلاصة مرحلة البايلربايات هو أن الانكشارية كان تشير مخاوف و شكوك الباب العالي في استقلالية الحكام الأتراك بالحكم نتيجة جمع السلطة في الولايات الثلاث : الجزائر و تونس و طرابلس تحت حكم رجل واحد . لذا تقرر تقسيم الحكم بفصل هذه الولايات عن بعضها البعض. و انتهي هذا الحكم الذي تميز بالقوة و حسن تسيير شؤون البلاد في الداخل و الخارج.

**-عهد الباشوات (1587-1659):** بماذا تميزها العهد ؟

1. تميز بالصراع بين طائفة الرياس و الانكشارية علي الحكم.
2. سياسة الباشوات : كان تعيينه لمدة ثلاث سنوات ، جعل منه يشعر أنه ليس في حاجة الي ولاء الشعب ، مادامت مدة ولايته محدودة، فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال .
3. كان الباشوات يقومون بشراء هذا المنصب من الباب العالي فأصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية، وتعمق الهوة بين الشعب و الحكومة .
4. تأزمت العلاقات الجزائرية الفرنسية ، حيث عمل الباشوات علي وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين ، لأن فرنسا لم تحافظ علي نصوص المعاهدة . ذلك أن فرنسا بدأت تتعدي علي السفن الجزائرية.
5. الصراع بين الانكشارية و طائفة الرياس هذا الصراع راح ضحيته الأهالي.
6. ثورة الكراغلةعام 1633م نتيجة عجز الدولة عن دفع رواتب الجنود .
7. ثور. القبائل 1643م من أبرزها قبائل بنو العباس و قبيلة آل القاضي ، بسبب فرض الضرائب الباهضة.
8. فساد الإدارة و ظلم و صولة الانكشارية و عصبية البحارة الي الي سقوط نظام الباشوات و ظهور نظام الاغوات.

* **عهد الأغوات(1659-1671)**

1. هذه الفترة ازداد فيها الوضع سوءا أكبر من ذي قبل .
2. اهتز الحكم نتيجة الاغتيالات و المؤامرات التي كانت تحاك ضد هؤلاء الأغوات ، كان معظمهم يغتالون فوق كراسيهم .كان حكم الآغا لا يتجاوز مدة شهرين ، و أكثرهم يقتلون قبل نهاية تلك المدة .
3. فساد الحكم و تبديد ثروات البلاد و المال العام و عدن إدراك الأخطار التي تحدقلها البلاد نتيجة الخسائر الفادحة التي كانت الجزائر تتعرض عن طريق هؤلاء الحكام و عن طريق أستطيع أوروبا.
4. واصلت فرنسا اعتداءاتها علي السفن الجزائرية.
5. كان لويس الرابع عشر (1643-1715) شديد الحقد علي الجزائر و الإسلام. كان قد وضع خططا مع جواسيس لاحتلال الجزائر و لكنها باءت بالفشل.
6. هذا العهد الذي اشتري فيه الفساد و الأنانية و حب الذات ، أدي إلي تعويضه بنظام جديد. ماهو؟

**-عهد الدايات (1671-1830)**

1. هذا العهد ،هو الآخر كان مليئا بالثورات و المؤامرات .
2. لذي ميز هذا العهد بكل جدارة و استحقاق ،هو عهد الباي محمد بن عثمان باشا (1766-1791). الذي استرجعت في عهده الجزائر مكانتها في الداخل و الخارج.
3. إثروفاة هذا الباي، بدأت الجزائر تسير نحو الانحطاط و باتت مفتوحة علي كل الاحتمالات، خاصة محاولات فرنسا احتلالها، لأنها كانت تحاك من زمن غزوها و تحقيق حلم امبراطورية نابليون و الخلاصة التالية تبين لنا ، كيف تطورت الأحداث. إن فترة الحكم العثماني بالجزائر التي استمرت ما يزيد عن ثلاثة قرون، كانت ذات آثار بعيدة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ذلك أن هذه الأوضاع كانت تتأثر بطبيعة الحكم، وكذا بالشخصيات التركية الحاكمة، آنذاك، فتميزت هذه الأوضاع بالنشاط والازدهار في بعض الأحيان والركود والانحطاط، أحيانا أخرى.

لكن بنهاية القرن السادس عشر، بدأت البلاد تأخذ منعرا خطيرا، حيث تفاقمت الاضطرابات والصراعات على الحكم وكثرت الاغتيالات والمؤامرات إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر ،ذلك أن حكومة الوجاك كانت تعاني – آنذاك – من التدهور الذي أصابها والذي كان يزداد شيئا فشيئا، سائر بالايالة نحو الانخطاط الكامل، خاصة في اليوم الذي تتوقف فيه المنافسات الأوربية بين بعضها البعض**([[1]](#footnote-1))**.

غير أن استعادة الايالة لقوتها في فترة تولي الداي محمد بن عثمان باشا (1766م-1771م)، قد مكن البلاد من أن تتغلب على العجز الذي كانت تعاني منه في الميزانية العامة**([[2]](#footnote-2))**، وتسترجع مكانتها ومهابتها الدولية**([[3]](#footnote-3))**، وتستكمل كذلك سيادتها الوطنية بعد تحرير الوطنية بعد تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني عام1792م**([[4]](#footnote-4))**، يعود ذلك إلى السياسة التي درج عليها هذا الداي وكذا الباي محمد الكبير بالغرب الجزائري وصالح باي قسنطينة، حيث كانت تلك الشخصيات الثالاث على جانب كبير من الحنكة السياسة في تسيير شؤون البلاد والتحكم فيها. لكن أثر وفاة هؤلاء، بدأت الأوضاع الداخلية تسوء بشكل مهول، وأصبح من الصعب جدا أمام فساد الحالة أن يحدث الإصلاح أو على الأقل العمل حماية البلاد من الخطر الخارجي

إن الصراع على الحكم والتنافس اللاشريف من أجل كسب الأموال والثروات بشتى الطرق هو الذي طغى – في الغالب – على السياسة التي كان يسلكاه بعض الحكام الأتراك بالايالة.

لم تكن، حالة الجزائر السياسية، والعسكرية وكذا الاقتصادية، تساعدها على الوقوف على أرضية صلبة حتى تتمكن من رد الاحتلال الصليبي، خاصة وأن فكرة الاحتلال قد صارت ملحة، فلطالما خامرت طموح فرنسا، منذ أن تأسست الشركة الملكية الأفريقية بمنائي: القالة وعنابة، التي اتسع إلى تجارة الحبوب والشموع والجلود، ولعل حملة اللورد اكسموث عام 1816م، تمخضت بسبب المصالح المتضاربة بين فرنسا وانجلترا**([[5]](#footnote-5))**.

وهكذا بدأت أهمية الجزائر إقتصاديا واستراتيجيا، تتأكد للمستعمر منذ مطلع القرن التاسع عشر، ومنالمؤكد أن القنصل الفرنسي دي فال كان أحد الأنصار الداعين بالحاج شديد لاحتلال الايالة، وتقع عليه مسؤولية تعقيد مشكل الديون وتمثيل مشهد " حادثة المروحة"**([[6]](#footnote-6))**، للقضاء على دار الجهاد وفتح المجال لفساد الكنيسة ومحاربة الإسلام.

إن ما قدمه الداي حسين لم يكن يسمح للبلاد من استرجاع مكانتها القديمة، لأن عوامل كثيرة داخلية وخارجية فرضت نفسها وهيات البلاد إلى الغزو الأجنبي:

أولا – وضعية الايالة في حد ذاتها كانت تسير نحو الانحطاط والانحدار منذ سنة 1791م إلى غاية سنة 1830م**([[7]](#footnote-7)).**

ثانيا – تكالب أوربا على الايالة، وخاصة المصالح الفرنسية الاقتصادية ومحاولة النفوذ أيضا لايالة تونس وفرض الهيمنة الاستعمارية بها**([[8]](#footnote-8)).**

ثالثا – تغيير العناصر الجديرة بأخرى أقل حنكة وخبرة في ميدان الحرب كعزل أشهر قائدا عرفته الجزائر وهو محيى آغا وتعويضه بابراهيم آغا، الذي " لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، ولم يكن يعرف الشيئ الكثير من التكتيك العسكري**([[9]](#footnote-9))**.

رابعا – معركة نافارين في 20 أكتوبر 1827، قد استنفذت تقريبا ،القوة البحرية الجزائرية، بالاضافة إلى عدم تحصين شاطئ سيدي فرج أو اتخاذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب من طرف الآغا ابراهيم**([[10]](#footnote-10))**.

1. **()** –H.D. de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830). Paris. 1887. p.240. [↑](#footnote-ref-1)
2. **()** –V. de Paradis, Alger au XVIII° siècle, édité par E. Fagnan, Alger, 1898, voir pp. 97.103. [↑](#footnote-ref-2)
3. **-()** أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، الجزائر، 1973، أنظر صص 114-126، أنظر كذلك، ف. دي بارادي، نفس المصدر ص ص 140 -141. [↑](#footnote-ref-3)
4. **-()** صالح فركوس، بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير، (1779 -1786م)، رسالة لم تنشر جامعة قسنطينة، 1979م أنظر، صص. 151-174. [↑](#footnote-ref-4)
5. **-()** نفس المرجع، ص. 40.. [↑](#footnote-ref-5)
6. **()** –F. CH. Roux. France et Afrique du Nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête Paris 1932 voir p. 525. [↑](#footnote-ref-6)
7. **()** –M. Gaïd, op. cit., p6. [↑](#footnote-ref-7)
8. **()** – F. CH. Roux. op. cit., voir pp. 603-608. [↑](#footnote-ref-8)
9. **-()**حمدان خوجة، نفس المصدر، أنظر، ص ص. 188-189. [↑](#footnote-ref-9)
10. **-()** نفس المصدر، ص189. [↑](#footnote-ref-10)